مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْخَامِسَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] .....

* **قُلْتُ:** «يُورِدُ اللَّيْلَ عَلَىٰ النَّهَارِ؛ فَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَيَتَغَشَّاهُ، وَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ يَذْهَبُ ضَوْءُهُ ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أَيْ: سَرِيعًا»(١).

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾، أَيْ مُذَلَّلَاتٍ جَارِيَاتٍ فِي مَجَارِيهَا، بِتَسْخِيرِ اللهِ بَارِيهَا بِأَمْرِهِ؛ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَا يُرَدُّ شَرْعًا وَقَدَرًا.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وَتَبَارَكَ فِعْلٌ خَاصٌّ بِاللهِ تَعَالَىٰ لَا يُطْلَقُ عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَالْبَرَكَةُ كَثْرَةُ الْخَيْرِ وَنَمَاؤُهُ، وَبَرَكَاتُ اللهِ لَا تَتَنَاهَىٰ.

أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يُقَالُ لَهُ: «تَبَارَكَ»، كَمَا يَصْنَعُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ فِي تَسْمِيَةِ بَنَاتِهِمْ بِذَلِكَ؛ فَيُسَمِّي بِنْتَهُ: «تَبَارَك»، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ، إِنَّمَا يُقَالُ لَهَا: «مُبَارَكَةٌ»، وَيُقَالُ لِلذَّكَرِ: «مُبَارَكٌ»، يَعْنِي: بَارَكَ اللهُ فِيهِ، وَجَعَلَهُ مُبَارَكًا.

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (١٠/ ٢٤٦، دَارُ هَجَرَ).

www.menhag-un.com

وَلَا يُقَالُ لِلْعَبْدِ: «تَبَارَكْتَ»؛ فَهَذَا خَاصٌّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَوْلُهُ) أَيْ: مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] الْآيَةَ، وَفِيهَا مِنْ آيَاتِ اللهِ:

أَوَّلًا: إِنَّ اللهَ خَلَقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَلَوْ شَاءَ لَخَلَقَهَا بِلَحْظَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَبَطَ الْمُسَبَّبَاتِ بِأَسْبَابِهَا، كَمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ، أَيْ: عَلَا عَلَيْهِ عُلُوًّا خَاصًّا بِهِ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا عُنْوَانُ كَمَالِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ.

* **قُلْتُ**: (**الِاسْتِوَاءُ**) عُلُوٌّ خَاصٌّ عَلَىٰ الْعَرْشِ، الِاسْتِوَاءُ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ، وَالْعُلُوُّ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ، الْعُلُوُّ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، وَأَمَّا الِاسْتِوَاءُ فَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؛ فَهُوَ عُلُوٌّ خَاصٌّ عَلَىٰ الْعَرْشِ.

فَفِي الْآيَةِ: تَقْرِيرُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ فِيهَا التَّصْرِيحُ بِاسْتِوَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **ثَالِثًا**: أَنَّهُ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّيْلَ غِشَاءً لِلنَّهَارِ، أَيْ: غِطَاءً لَهُ فَهُوَ كَالثَّوْبِ يُسْدَلُ عَلَىٰ ضَوْءِ النَّهَارِ فَيُغَطِّيهِ.

رَابِعًا: أَنَّهُ جَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، مُذَلَّلَاتٍ بِأَمْرِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ يَأْمُرُهُنَّ بِمَا يَشَاءُ لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ.

خَامِسًا: عُمُومُ مُلْكِهِ وَتَمَامُ سُلْطَانِهِ حَيْثُ كَانَ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لَا لِغَيْرِهِ.

سَادِسًا: عُمُومُ رُبُوبِيَّتِهِ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ، وَتَفْسِيرُهُ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] .....

* **قُلْتُ:** (**الرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ**): أَيِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ أَوْ هُوَ الَّذِي يُعْبَدُ لِاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ، وَلَيْسَ الْمَعْنَىٰ مَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ مِنْ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَعْبُودُ فَقَطْ؛ وَإِلَّا لَزِمَ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ رَبٌّ، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَلَكِنْ يُرِيدُ الشَّيْخُ: (**الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ دُونَ سِوَاهُ هُوَ اللهُ**)؛ فَيَقُولُ: وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ دُونَ سِوَاهُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ ذَكَرَ الْآيَاتِ بَعْدُ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُشِيرُ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَالدَّلِيلُ): أَيِ: الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: النِّدَاءُ مُوَجَّهٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَمَرَهُمُ اللهُ ﷻ، أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ؛ لِكَوْنِهِ هُوَ الْخَالِقَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا أَوَّلُ نِدَاءٍ فِي الْمُصْحَفِ؛ **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾**، وَهُوَ خِطَابٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَالنَّاسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مُؤْمِنُونَ، وَكَافِرُونَ، وَمُنَافِقُونَ، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَفَصَّلَ أَمْرَهُمْ فِي صَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ قَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾**، فَتَوَجَّهَ الْخِطَابُ لِجَمِيعِ النَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ؛ أَمَرَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِطَاعَتِهِ: **﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾**، أَطِيعُوهُ بِالْإِيمَانِ وَالِامْتِثَالِ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَهَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ؛ فَهِيَ طَاعَةُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ، مَعَ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ وَكَمَالِ التَّعْظِيمِ، مَعَ كَمَالِ الْحُبِّ فِي كَمَالِ الذُّلِّ؛ طَاعَةُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ فِي كَمَالِ حُبٍّ مَعَ تَمَامِ ذُلٍّ؛ فَهَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُصْرَفَ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾**: هَذِهِ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ تُعَلِّلُ مَا سَبَقَ أَيِ: اعْبُدُوهُ؛ لِأَنَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ الرَّبَّ الْخَالِقَ كَانَ لِزَامًا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلِهَذَا نَقُولُ: يَلْزَمُ كُلَّ مَنْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ، أَنْ يَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، وَإِلَّا كَانَ مُتَنَاقِضًا.

* **قُلْتُ:** فَمِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ الرَّبَّ الْخَالِقَ، كَانَ لِزَامًا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ.

خَلَقَكَ وَأَنْشَأَكَ، وَبَرَاكَ وَأَوْجَدَكَ، أَوْجَدَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا، وَلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مَذْكُورًا؛ فَخَلَقَهُ.

أَفَبَعْدَ أَنْ خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَأَعَدَّكَ وَأَمَدَّكَ تَكْفُرُ بِهِ وَتَعْبُدُ غَيْرَهُ؟!! هَذَا هُوَ الظُّلْمُ الْكَبِيرُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْصُلُوا عَلَىٰ التَّقْوَىٰ، وَالتَّقْوَىٰ هِيَ: اتِّخَاذُ وِقَايَةٍ مِنْ عَذَابِ اللهِ ﷻ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] .....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: جَعَلَهَا فِرَاشًا وَمِهَادًا نَسْتَمْتِعُ فِيهَا مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا تَعَبٍ كَمَا يَنَامُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: أَيْ فَوْقَنَا؛ لِأَنَّ الْبِنَاءَ يَصِيرُ فَوْقَ السَّمَاءِ بِنَاءً لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَقْفٌ مَحْفُوظٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

* **قُلْتُ:** كُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظَلَّكَ؛ فَهُوَ سَمَاءٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أَيْ: أَنْزَلَ مِنَ الْعُلُوِّ مِنَ السَّحَابِ مَاءً طَهُورًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

* **قُلْتُ:** ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، يَعْنِي مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَيْ: مِنَ السَّحَابِ أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ.

الثَّمَرَاتُ: جَمْعُ ثَمَرَةٍ، وَالثَّمَرَةُ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنْ حُبُوبٍ، وَمَا تُخْرِجُهُ الْأَشْجَارُ مِنَ الْفَوَاكِهِ، وَلَيْسَ مَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ عَلَىٰ حَسَبِ الِاصْطِلَاحِ اللُّغَوِيِّ الشَّائِعِ، «**الثِّمَارُ**»، لَا بَلْ هِيَ أَعَمُّ ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾؛ لِأَنَّ ثَمَرَاتٍ

يَتَصَوَّرُهَا الْإِنْسَانُ الْفَوَاكِهَ، وَالْفَوَاكِهُ رِزْقٌ خَاصٌّ يُتَفَكَّهُ بِهِ بَعْدَ الرِّزْقِ الرَّئِيسِ وَهُوَ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنَ الْحَبِّ.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أَشْبَاهًا وَنُظَرَاءَ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْدَادَ لَيْسَتْ مُمَاثِلَةً لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَلَا مُشَابِهَةً لَهُ.

جَمَعَتِ الْآيَةُ بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ؛ فَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ثُمَّ ذَكَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّهْيَ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أَيْ: عَطَاءً لَكُمْ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أَيْ: لَا تَجْعَلُوا لِهَذَا الَّذِي خَلَقَكُمْ -وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ- لَا تَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا تَعْبُدُونَهَا كَمَا تَعْبُدُونَ اللهَ، أَوْ تُحِبُّونَهَا كَمَا تُحِبُّونَ اللهَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ لَائِقٍ بِكُمْ لَا عَقْلًا وَلَا شَرْعًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أَيْ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ، وَأَنَّهُ بِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالرِّزْقُ وَالتَّدْبِيرُ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ.

www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»[1] .....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ الْقُرَشِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، الْحَافِظُ الْمَشْهُورُ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ وَالتَّارِيخِ[2]، مِنْ تَلَامِيذِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ[3].

---

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (١/ ١٩٤، دار طيبة).

(٢) هُوَ كِتَابُ «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» طُبِعَ فِي ٢١ مُجَلَّدًا، دَارُ هَجَرَ، عَلَىٰ نَسَقِ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ انْتَهَىٰ فِيهِ إِلَىٰ حَوَادِثِ سَنَةِ ٧٦٧هـ.

(٣) انْظُرْ: «الدُّرَرُ الْكَامِنَةُ» لِابْنِ حَجَرٍ (١/ ٤٤٥)، وَ«طَبَقَاتُ الْحُفَّاظِ» لِلسُّيُوطِيِّ (ص٥٣٣، ط الْعِلْمِيَّةُ)، وَ«الْأَعْلَامُ» لِلزِّرِكْلِيِّ (١/ ٣٢٠).

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، .....

* **قُلْتُ:** قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: (**وَمِنْهُ الدُّعَاءُ**)، الصَّوَابُ عَلَىٰ حَسَبِ الْعُرْفِ اللُّغَوِيِّ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ: (وَمِنْهَا)؛ وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، وَمِنْهَا -أَيْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ-: الدُّعَاءُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا بَيَّنَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَيَّنَ فِيمَا يَأْتِي شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِثْلَ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ.

وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ هِيَ الدِّينُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١: ١، رَقْمُ ٨).

«بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟

قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

www.menhaj-un.com

قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هِيَ الدِّينَ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلدِّينِ كُلِّهِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلِّهَا للهِ تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] .....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: كُلُّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِمَّا ذَكَرَ وَغَيْرُهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَحِلُّ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- جُمْلَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَذَكَرَ أَنَّ مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

* **قُلْتُ:** مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُصَنِّفُ مِثْلَ: أَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ، أَوْ رَجَاهُمْ، أَوْ خَافَهُمْ، أَوْ سَأَلَهُمْ قَضَاءَ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُبَاتِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَكَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ جَحَدَ حَقًّا لِلَّهِ فَصَرَفَهُ لِغَيْرِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ -وَهِيَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ أَوْ أَعْضَاءُ السُّجُودِ- لِلَّهِ، وَرَتَّبَ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿**فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا**﴾ أَيْ: لَا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ فَتَسْجُدُوا لَهُ.

* **قُلْتُ**: ﴿**ٱلْمَسَـٰجِدَ**﴾: يُمْكِنُ أَنْ تُصَرَّفَ لُغَةً لِمَوَاضِعِ السُّجُودِ؛ فَالْجَبْهَةُ مَسْجِدُ الْإِنْسَانِ لِرَبِّهِ، يَعْنِي الْمَوْضِعَ الَّذِي يَسْجُدُ بِهِ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكَذَلِكَ يَدَاهُ وَرُكْبَتَاهُ، وَرِجْلَاهُ، يَعْنِي أَعْنِي قَدَمَيْهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ هِيَ مَوَاضِعُ أَوْ أَعْضَاءُ السُّجُودِ.

وَكَذَلِكَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ وَهِيَ: الْمَسَاجِدُ الْمَعْرُوفَةُ فِي الِاصْطِلَاحِ مَا اتُّخِذَ مُحَجَّرًا عَلَىٰ أَنْ يُعْبَدَ فِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُصَلَّىٰ فِيهِ لله ﷻ، بِمَعْنَىٰ الْمَسْجِدِ فِيهِ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ؛ فَسَوَاءٌ هَذَا وَهَذَا مَوَاضِعُ السُّجُودِ، أَوْ أَعْضَاءُ السُّجُودِ؛ هَذِهِ لله ﷻ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: بِأَنَّ اللهَ ﷻ بَيَّنَ أَنَّ مَنْ يَدْعُو مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَإِنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿**إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ**﴾: صِفَةٌ كَاشِفَةٌ مُبَيِّنَةٌ لِلْأَمْرِ، وَلَيْسَتْ صِفَةً مُقَيِّدَةً، تُخْرِجُ مَا فِيهِ بُرْهَانٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بُرْهَانٌ عَلَىٰ أَنَّ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ.

* **قُلْتُ**: قَالَ الشَّيْخُ: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٧]؛ فَنَفَىٰ الْفَلَاحَ، وَنَفْيُ الْفَلَاحِ يَدُلُّ عَلَىٰ هَلَاكِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ**﴾؛ الْبُرْهَانُ بِالْمَعْنَىٰ الْأَخَصِّ لَا بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ، هُوَ: الدَّلِيلُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ فِي الْحَقِّ لَبْسًا، وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الدَّلِيلِ؛ لِأَنَّ الدَّلِيلَ قَدْ

يَكُونُ قَطْعِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ ظَنِّيًّا، وَأَمَّا الْبُرْهَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا قَطْعِيًّا.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: فَإِذَا عَبَدَ إِلَهًا آخَرَ لَهُ بِهِ بُرْهَانٌ؛ فَحِينَئِذٍ يُؤْذَنُ لَهُ، وَيُسْمَحُ بِأَنْ يَعْبُدَهُ؟!!

فَيُقَالُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، صِفَةٌ كَاشِفَةٌ.

فَهَذَا الْوَصْفُ: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، جَاءَ لِمُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ، لَا لِإِخْرَاجِ الْمَفْهُومِ عَنْ حُكْمِ الْمَنْطُوقِ، جَاءَ هَذَا لِمُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ لَا لِإِخْرَاجِ الْمَفْهُومِ عَنْ حُكْمِ الْمَنْطُوقِ بِحَيْثُ يُقَالُ: مَنْ عَبَدَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَلَهُ بُرْهَانٌ؛ فَلَا مَانِعَ.

وَمَعْنَىٰ مُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ: أَنَّهُ وَصْفٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ؛ لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ بِلَا بُرْهَانٍ.

وَقَالَ لَهُمْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا آخَرَ لَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْآخَرِ بُرْهَانٌ!! فَلَيْسَ هُنَالِكَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ سِوَىٰ اللهِ ﷻ، فَهَذِهِ يُقَالُ لَهَا: (صِفَةٌ كَاشِفَةٌ).

فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: (الصِّفَةُ الْكَاشِفَةُ)، هَذِهِ هُنَا كَمَا رَأَيْتَ جَاءَتْ لِمُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ لَا لِإِخْرَاجِ الْمَفْهُومِ عَنْ حُكْمِ الْمَنْطُوقِ.

www.menhag-un.com

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الدُّعَاءُ وَأَنْوَاعُهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] .....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا شُرُوعٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي أَدِلَّةِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي قَوْلِهِ: «وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ.. »، إلخ، فَبَدَأَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذِكْرِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ، وَسَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ- تَفْصِيلُ أَدِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ.

* **قُلْتُ:** وَكَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُلْقُونَ الْكَلَامَ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ الشَّيْءَ وَيُتْبِعُونَهُ دَلِيلَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا يُرْوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»(١).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الدَّعَوَاتِ، ١: ٢، رَقْمُ ٣٣٧١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، =

* **قُلْتُ:** وَهَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَيُغْنِي عَنْهُ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ صِيَاغَةً؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ الرَّسُولُ ﷺ، قَوْلُهُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١)، هَذَا صَحِيحٌ، وَفِي الصَّحِيحِ غُنْيَةٌ.

وَهَذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عَلَىٰ الْأَلْسِنَةِ؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَالصَّحِيحُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، وَالْإِتْيَانُ بِضَمِيرِ الرَّفْعِ الظَّاهِرِ الْمُنْفَصِلِ الْبَارِزِ هَكَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ الِاخْتِصَاصِ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ تَعْرِيفُ طَرَفَيِ الْجُمْلَةِ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، وَهَذَا لِأَنَّهُ كَلَامُ الرَّسُولِ ﷺ أَبْلَغُ، وَهُوَ مُغْنٍ عَنِ الضَّعِيفِ.

وَأَيْضًا، مِنَ الْمَشْهُورِ مَا هُوَ شَائِعٌ ذَائِعٌ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَنَّ: «**الْجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ**»(٢)، .....

=

وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٢٢٣١).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الصَّلَاةِ، ٣٥٦: ١، رَقْمُ ١٤٧٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الدُّعَاءِ، ١: ٣، رَقْمُ ٣٣٧٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الدُّعَاءِ، ١: ٢، رَقْمُ ٣٨٢٨)، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٥/ رَقْمُ ١٣٢٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الدُّولَابِيُّ فِي «الْكُنَىٰ» (٣/ ١٠٩١، رَقْمُ ١٩١١)، وَأَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «الْفَوَائِدِ» (رَقْمُ ٢٥، دَارُ الصُّمَيْعِيِّ - الرِّيَاضُ)، وَفِي «طَبَقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ» (٣/ ٥٦٨، تَرْجَمَةُ ٤٩٧)، وَأَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧/ ٢٧٢، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (رَقْمُ ١١٩)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي» (٢/ رَقْمُ ١٧٠٢)، مِنْ طَرِيقِ: مَنْصُورِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ الْأَبَّارِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:...

=

فَهَذَا ضَعِيفٌ أَيْضًا غَيْرُ ثَابِتٍ، وَيُغْنِي عَنْهُ: «**الْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا**»(١)، فَهَذَا هُوَ الثَّابِتُ الصَّحِيحُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

* **قُلْتُ**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾، يَعْنِي: أَخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ وَوَحِّدُونِي، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: أُجِبْ دُعَاءَكُمْ، وَأَعْفُ عَنْكُمْ، وَأُسَدِّدْكُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: يَتَعَظَّمُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ، وَيَسْتَنْكِفُونَ عَنْ ذَلِكَ، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، يَعْنِي: أَذِلَّةً صَاغِرِينَ(٢).

=

الْحَدِيثَ، قَالَ الدُّولَابِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ كُنْيَتُهُ أَبُو النَّضْرِ الْأَبَّارُ».

وَالْحَدِيثُ ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الضَّعِيفَةِ» (٥٩٣)، وَفِي «ضَعِيفِ الْجَامِعِ» (٢٦٦٦).

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَىٰ» فِي (الْجِهَادِ، ٦، رَقْمُ ٣١٠٤)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْجِهَادِ، ١٢: ٢، رَقْمُ ٢٧٨١)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ، أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا**»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٥/ ٢١، رَقْمُ ١١٩٩)، وَفِي «الضَّعِيفَةِ» (٥٩٣).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٠/ ٣٥١ - ٣٥٤، دَارُ هَجَرَ).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَدَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

* **قُلْتُ**: وَقَدْ أَمَرَ بِدُعَائِهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِي لَا يَدْعُونِي، وَيَسْتَكْبِرُ عَنْ ذَلِكَ هُوَ مُسْتَكْبِرٌ عَنْ عِبَادَتِي؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ مِنَ الْعِبَادَةِ.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، يَعْنِي عَنْ دُعَائِي وَهُوَ مِنْ عِبَادَتِي؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَلْ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَدْعُوُّ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

وَمَنْ دَعَا حَيًّا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا فُلَانُ أَطْعِمْنِي، يَا فُلَانُ اسْقِنِي، فَلَا شَيْءَ فِيهِ.

وَمَنْ دَعَا مَيِّتًا أَوْ غَائِبًا بِمِثْلِ هَذَا، فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ أَوِ الْغَائِبَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا، فَدُعَاؤُهُ إِيَّاهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُ تَصَرُّفًا فِي الْكَوْنِ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

* **قُلْتُ**: يَعْنِي مَنْ دَعَا مَيِّتًا؛ فَقَالَ: اسْقِنِي، لَوْ دَعَا حَاضِرًا عَلَىٰ ذَلِكَ قَادِرٌ، يَعْنِي وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: اسْقِنِي؛ فَهَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ، وَلَكِنْ لَوْ دَعَا مَيِّتًا؛

فَقَالَ: اسْقِنِي، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُوهُ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَ فِيهِ تَصَرُّفًا، وَكَذَلِكَ إِذَا دَعَا غَائِبًا غَيْرَ حَاضِرٍ، وَقَالَ: يَا فُلَانُ اسْقِنِي، وَلَوْ كَانَ حَيًّا، وَلَكِنَّهُ غَائِبٌ، هَذَا يَكُونُ أَيْضًا شِرْكًا أَكْبَرَ، فَتَأَمَّلْ هَذَا التَّفْصِيلَ.

يُقَالُ لَكَ: دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شِرْكٌ وَكُفْرٌ؟!

تَقُولُ: لَيْسَ عَلَىٰ إِطْلَاقِ هَذَا؛ **فِيهِ تَفْصِيلٌ**:

دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَةٌ لِهَذَا الْمَدْعُوِّ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شِرْكٌ وَكُفْرٌ.

وَأَمَّا إِذَا مَا سُئِلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ حَيًّا حَاضِرًا غَيْرَ غَائِبٍ قَادِرًا عَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ.

فَفِيهِ تَفْصِيلٌ، فَتَأَمَّلْهُ كَمَا سَيَأْتِي فِي التَّفْصِيلِ فِي الِاسْتِعَاذَةِ، وَكَذَلِكَ فِي الِاسْتِعَانَةِ، وَكَذَلِكَ فِي الِاسْتِغَاثَةِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ فِيهِ تَفْصِيلٌ.

كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَنِّتِينَ إِذَا قُلْتَ: فِيهِ تَفْصِيلٌ، يَقُولُ: هَذَا لَا يَفْهَمُ التَّوْحِيدَ، وَسَتَرَىٰ أَنَّ الْأَئِمَّةَ أَئِمَّةَ هَذَا الْعَصْرِ مِمَّنْ لَهُمْ فِي التَّوْحِيدِ قَدَمُ الصِّدْقِ يَأْتُونَ بِهَذَا التَّفْصِيلِ كَمَا تَرَىٰ.

وَسَيَأْتِي عَلَىٰ نَحْوٍ هُوَ أَوْضَحُ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي الِاسْتِعَانَةِ، وَفِي الِاسْتِعَاذَةِ، وَفِي الِاسْتِغَاثَةِ؛ كَمَا سَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّعَاءَ نَوْعَانِ: دُعَاءُ مَسْأَلَةٍ، وَدُعَاءُ عِبَادَةٍ.

* **قُلْتُ: دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ:** دُعَاؤُهُ سُبْحَانَهُ بِجَلْبِ الْمَنْفَعَةِ، وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ.

وَدُعَاءُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ: دُعَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَدُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ: هُوَ دُعَاءُ الطَّلَبِ، أَيْ: طَلَبُ الْحَاجَاتِ، وَهُوَ عِبَادَةٌ إِذَا كَانَ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الِافْتِقَارَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاللُّجُوءَ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُ قَادِرٌ كَرِيمٌ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ.

وَيَجُوزُ إِذَا صَدَرَ مِنَ الْعَبْدِ لِمِثْلِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ إِذَا كَانَ الْمَدْعُوُّ يَعْقِلُ الدُّعَاءَ وَيَقْدِرُ عَلَىٰ الْإِجَابَةِ، كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: يَا فُلَانُ أَطْعِمْنِي.

* **قُلْتُ:** دُعَاءُ الْحَيِّ الْحَاضِرِ الْقَادِرِ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ فِي الشَّيْءِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ، لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا يُعْتَبَرُ دَاخِلًا فِي الشِّرْكِ؛ فَلَوْ قُلْتَ لِأَخِيكَ الْحَاضِرِ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعِنِّي عَلَىٰ قَطْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ مَيِّتًا أَوْ إِذَا كَانَ غَائِبًا أَوْ إِذَا طَلَبَ مِنَ الْحَيِّ الْحَاضِرِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ فَهَذَا كُلُّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ لَهُ تَصَرُّفًا فِي الْكَوْنِ؛ فَيَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا دُعَاءُ الْعِبَادَةِ: فَأَنْ يَتَعَبَّدَ بِهِ لِلْمَدْعُوِّ؛ طَلَبًا لِثَوَابِهِ وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ لِغَيْرِ اللهِ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ

مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ الْوَعِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

* **قُلْتُ:** فَالَّذِي فِيهِ التَّفْصِيلُ كَمَا مَرَّ إِنَّمَا هُوَ دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

النَّوْعُ الثَّانِي: الْخَوْفُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .....

* **قُلْتُ:** الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَخَفْ مِنَ اللهِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ طَالِبًا مَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ، -وَهُوَ يَطْلُبُ مَا لَا يَحْصُلُ لَهُ وَلَمْ يُحَصِّلْهُ، وَلَا يَخَافُ رَبَّهُ فِي طَلَبِهِ، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ-؛ هَذَا تَبْقَىٰ نَفْسُهُ طَالِبَةً لِمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ، وَتَدْفَعُ بِهِ الْغَمَّ وَالْحُزْنَ عَنْهَا وَلَيْسَ عِنْدَهَا مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ مَا تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ وَبِهِ؛ فَيَسْتَرِيحُ إِلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ حِينَئِذٍ مِنْ فِعْلِ الْفَوَاحِشِ وَشُرْبِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُغْضِبُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا[1].

فَالْخَوْفُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَوْفُ، هُوَ: الذُّعْرُ، وَهُوَ؛ انْفِعَالٌ يَحْصُلُ بِتَوَقُّعِ مَا فِيهِ هَلَاكٌ أَوْ ضَرَرٌ أَوْ أَذًىٰ، وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ خَوْفِ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَأَمَرَ بِخَوْفِهِ وَحْدَهُ.

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (١/ ٥٤ - ٥٥).

www.menhag-un.com

وَالْخَوْفُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: خَوْفٌ طَبِيعِيٌّ، كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّبُعِ وَالنَّارِ وَالْغَرَقِ، وَهَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، عَنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

لَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا الْخَوْفُ كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ سَبَبًا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ كَانَ حَرَامًا؛ لِأَنَّ مَا كَانَ سَبَبًا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ فَهُوَ حَرَامٌ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* **قُلْتُ:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] يَعْنِي: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ، يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ، يُخَوِّفُكُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَيُعَظِّمُهُمْ فِي صُدُورِكُمْ، وَيُكَبِّرُهُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْخَوْفَ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ فَأَتَىٰ بِهَذَا الشَّرْطِ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ نَفْيَ هَذَا الْخَوْفِ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْخَوْفُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ يَكُونُ مَحْمُودًا، وَيَكُونُ غَيْرَ مَحْمُودٍ.

فَالْمَحْمُودُ: مَا كَانَتْ غَايَتُهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللهِ، بِحَيْثُ يَحْمِلُكَ عَلَىٰ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْغَايَةُ سَكَنَ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْفَرَحُ بِنِعْمَةِ اللهِ، وَالرَّجَاءُ لِثَوَابِهِ.

وَغَيْرُ الْمَحْمُودِ: مَا يَحْمِلُ الْعَبْدَ عَلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطِ، وَحِينَئِذٍ يَتَحَسَّرُ الْعَبْدُ وَيَنْكَمِشُ، وَرُبَّمَا يَتَمَادَىٰ فِي الْمَعْصِيَةِ لِقُوَّةِ يَأْسِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: خَوْفُ الْعِبَادَةِ؛ أَنْ يَخَافَ أَحَدًا يَتَعَبَّدُ بِالْخَوْفِ لَهُ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: خَوْفُ السِّرِّ؛ كَأَنْ يَخَافَ صَاحِبَ الْقَبْرِ، أَوْ وَلِيًّا بَعِيدًا عَنْهُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، لَكِنَّهُ يَخَافُهُ مَخَافَةَ سِرٍّ؛ فَهَذَا أَيْضًا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الشِّرْكِ.

* **قُلْتُ**: هَذَا شَائِعٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَخْلُو بِنَفْسِهِ، يَجْتَرِئُ عَلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ لَا يُبَالِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ إِنْ كَانَ عِنْدَ قَبْرٍ فَإِنَّهُ يَخْشَىٰ صَاحِبَ الْقَبْرِ؛ لِأَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَىٰ سِرِّهِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَمُرُّ عَلَىٰ بَعْضِ الْخَلْقِ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيهِمُ الْوِلَايَةَ - وَآيَاتُ الْوِلَايَةِ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ الْوَلِيُّ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ مُحْدِثًا عَلَىٰ نَفْسِهِ! قَدْ سَالَ مُخَاطُهُ عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَتَنَاثَرَ الْقُمَّلُ عَلَىٰ ثِيَابِهِ!! وَتَرَكَ الصَّلَوَاتِ، وَأَفْطَرَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ!! وَأَتَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ!! فَيَعْتَقِدُ فِيهِ الْوِلَايَةَ بِعَلَامَاتِهَا هَذِهِ عِنْدَهُ إِذَا مَرَّ بِهِ وَكَانَ قَدِ ارْتَكَبَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ سِرِّهِ، وَيَخْشَىٰ أَنْ يَفْضَحَهُ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَهَذَا خَوْفُ السِّرِّ.

يَقُولُ: فُلَانٌ وَتِدُ هَذَا الْمَكَانِ، وَهَؤُلَاءِ الْأَوْتَادِ يَنْبَغِي أَنْ نَتَأَدَّبَ فِي حَضْرَاتِهِمْ؛ فَيَخَافُهُ خَوْفَ سِرٍّ، يَخَافُهُ مَا لَا يَخَافُ الرَّبَّ مِثْلَهُ ﷻ، هَذَا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الشَّارِحُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِنْ أَنْوَاعِ الْخَوْفِ.

هُنَاكَ نَوْعٌ رَابِعٌ: وَهُوَ: أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ مَا يُحِبُّ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ؛ كَأَنْ يَتْرُكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ؛ هَذَا خَوْفٌ مُحَرَّمٌ مَذْمُومٌ.

وَهُنَالِكَ نَوْعٌ خَامِسٌ -أَيْضًا-؛ هُوَ: الْخَوْفُ الْوَهْمِيُّ[1].

الْخَوْفُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ:

خَوْفُ عِبَادَةٍ: أَنْ يَخَافَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ.

الثَّانِي: خَوْفٌ هُوَ الشِّرْكُ: وَهُوَ أَنْ يَخَافَ الْعَبْدَ؛ كَأَنْ يَخَافَ الْجِنِّيَّ أَوِ الْمَيِّتَ؛ كَخَوْفِهِ مِنَ اللهِ أَوْ أَشَدَّ.

الثَّالِثُ: الْخَوْفُ الَّذِي هُوَ مَعْصِيَةٌ، وَهُوَ أَنْ يَخَافَ الْإِنْسَانُ مِنْ إِنْسَانٍ غَيْرِهِ حَتَّىٰ يَتْرُكَ الْوَاجِبَ أَوْ يَرْتَكِبَ الْمُحَرَّمَ؛ خَوْفًا مِنْهُ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَىٰ حَدِّ الْإِكْرَاهِ، وَهَذَا قَيْدٌ مُهِمٌّ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ أُكْرِهَ؛ فَفَعَلَ؛ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، فَهَذَا الْخَوْفُ مَعْصِيَةٌ.

وَالرَّابِعُ: الطَّبْعِيُّ، مِنَ الْحَيَّةِ وَالسَّبُعِ وَالنَّارِ وَالْغَرَقِ.

وَالْخَامِسُ: الْوَهْمِيُّ، وَهُوَ: مَا لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ أَصْلًا، أَوْ لَهُ سَبَبٌ ضَعِيفٌ؛ فَهَذَا خَوَرٌ وَجُبْنٌ.

(١) «الْقَوْلُ السَّدِيدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - بَابُ: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» لِلسَّعْدِيِّ (ص١٣٢، ط الْوَزَارَةِ).

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الرَّجَاءُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] .....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّجَاءُ طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي أَمْرٍ قَرِيبِ الْمَنَالِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ بَعِيدَ الْمَنَالِ تَنْزِيلًا لَهُ مَنْزِلَةَ الْقَرِيبِ.

وَالرَّجَاءُ الْمُتَضَمِّنُ لِلذُّلِّ وَالْخُضُوعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكٌ إِمَّا أَصْغَرُ، وَإِمَّا أَكْبَرُ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِقَلْبِ الرَّاجِي.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا تَفْصِيلٌ مُهِمٌّ أَيْضًا.

وَفِي هَذِهِ الْأُمُورِ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَقِّيًا؛ لِأَنَّكَ إِنْ حَكَمْتَ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا وَعَادِلًا؛ فَالْحُكْمُ عَلَى النَّاسِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، لَا يَكُونُ بِالْجَهْلِ، وَلَا بِالظُّلْمِ.

إِذَا حَكَمْتَ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ -وَخَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ- فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا بِمَا تَحْكُمُ بِهِ وَفِيهِ، وَأَنْ تَكُونَ مُتَوَرِّعًا، وَأَنْ تَكُونَ عَادِلًا، وَأَمَّا الَّذِي

يَحْكُمُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ بِالظُّلْمِ وَالْجَهْلِ؛ فَهُوَ عَلَىٰ شَفَا هُلْكٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُكَفِّرُ مُسْلِمًا، وَقَدْ يُبَدِّعُهُ وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ لَا التَّكْفِيرَ وَلَا التَّبْدِيعَ وَلَا التَّفْسِيقَ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَقِّيًا، وَيَعْرِفَ هَذِهِ التَّفْصِيلَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّجَاءَ الْمَحْمُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ وَرَجَا ثَوَابَهَا، أَوْ تَابَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَرَجَا قَبُولَ تَوْبَتِهِ، فَأَمَّا الرَّجَاءُ بِلَا عَمَلٍ فَهُوَ غُرُورٌ وَتَمَنٍّ مَذْمُومٌ.

* **قُلْتُ**: فَرْقٌ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي وَالْغُرُورِ، هَذِهِ تَفْصِيلَاتٌ مُهِمَّةٌ أَيْضًا؛ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَهَا.

الْخَشْيَةُ وَالْخَوْفُ هَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؟

الْخَشْيَةُ بِمَعْنَىٰ الْخَوْفِ، وَلَكِنَّ الْخَشْيَةَ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ؛ لِأَنَّ الْخَشْيَةَ مَقْرُونَةٌ بِمَعْرِفَةِ اللهِ؛ فَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، فَالْخَشْيَةُ خَوْفٌ خَاصٌّ؛ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]؟!

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]؛ فَالْخَشْيَةُ خَوْفٌ، وَلَكِنَّهَا خَوْفٌ مَخْصُوصٌ.

الرَّجَاءُ بِلَا عَمَلٍ هُوَ غُرُورٌ، وَهُوَ تَمَنٍّ وَهُوَ مَذْمُومٌ.

www.menhag-un.com

«وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي: أَنَّ الرَّجَاءَ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

وَأَمَّا التَّمَنِّي، فَيَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ»(١).

وَالَّذِي يَقُولُ لَكَ أَنَا عِنْدِي رَجَاءٌ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَأَنَا أَرْجُو رَبِّي، وَلَا يَعْمَلُ، لَا يُصَلِّي، لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ، لَا يَنْكَفُّ عَنِ الشَّرِّ، وَيَقُولُ: أَنَا أَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، مَعَ تَرْكِ الْعَمَلِ هَذَا تَمَنٍّ، وَهَذَا غُرُورٌ.

وَأَمَّا مَعَ الْعَمَلِ فَهُوَ رَجَاءٌ؛ فَيَتُوبُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَيَرْجُو قَبُولَ التَّوْبَةِ، يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، يَعْمَلُ الطَّاعَةَ، وَيَرْجُو الثَّوَابَ مِنَ اللهِ؛ فَهَذَا عَامِلٌ، وَيَرْجُو الْعَطَاءَ مِنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا الَّذِي يَنْكَفُّ عَنِ الْعَمَلِ أَوْ يَأْتِي بِالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَاجٍ رَحْمَةَ اللهِ، فَهَذَا مُتَمَنٍّ، وَهَذَا مَغْرُورٌ.

❁ ❁ ❁

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (٢/ ٣٧، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ)، وَ«الرُّوحُ» (ص٢٤٥، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).